مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (26) العدد (1)2004
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Science Series Vol (26) No (1) 2004

احتجاج الواحدي بـ "القراءات القرآنية" في شرحه على ديوان المتنبي

الدكتور رائف السمارة *
الدكتورة بثينة سليمان**
غياث محمد بابو ***

(قبل للنشر في 2004/9/7)

□ الملخّص □

يتناول هذا البحث احتجاج الواحدي بالقراءات القرآنّية ، حين وقوفه عند المسائل النحوّية ، في أثناء شرحه على ديوان المتنبّي ، وقد كان يرمي بذلك إلى توجيه مذهبٍ نحويٍّ ، أو ترجيحه ، اعتماداً على السّياق اللغوي في النَّصِّ.

وهذه القراءات القرآنية سبعية غير معزوّةٍ إلى أصحابها سوى قراءة شاذة عزيت إلى أبي السمَّال العدوي وجاء بعضها منتزعاً مما استحضره ابن جنِّي في شرحه على ديوان المتنبّي المسمَّى بـ " الفَسْر ". وقد ساقه الواحدي على سبيل التمثيل والتنظير. فإن وُجد غير روايةٍ في بيت من الأبيات، أو ذُكر أكثر من مذهب نحويٍّ في موضعٍ ، جنح الواحدي إلى تصويبه . على ما يرى . بقراءةٍ تتناسب وتخريج الكلمة المشكلة على وجهٍ يذهب إليه، مدِّعماً مذهبه بالشواهد الملائمة ، والاحتجاجات الكثيرة، ونجده في أحيانٍ أخرى يكتفي بذكر القراءة القرآنية دونما إضافةٍ تذكر ممَّا جعل الكلام ناقصاً محتاجاً إلى الكشف عنه، وإيضاحه، الأمر الذي استدعى من البحث الرجوع إلى مظان كتب القراءات، من أجل الصحة في نسبة الآراء ، والوقوف على مضامينها، ومناقشتها، وتقديم ما يخدم البحث منها ، ومعرفة موقف الواحدي وجلائه ..

وقد توصل البحث إلى أهمية القراءات القرآنيّة في مسألة الاحتجاج، والاستشهاد، وأنَّ احتجاج الواحدي بهذه القراءة أو تلك، قد جيء به لتقوية مذهبٍ ، أو دفع رأيٍ، أو لتفسير ما خالف قاعدةً موضوعةً بأنّه جاء على لغةٍ من لغات العربيّة ...

*مدرس في قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة حلب– حلب–سورية.
**مدرسة في قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين– اللاذقية – سورية.
***طالب دراسات عليا في قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين– اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (26) العدد (1)2004
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Science Series Vol (26) No (1) 2004

Al-Wahide's Dependence on "Koranic Reading" in His Explication of Al-Mutanabi's Poetry

Dr. Raief Al-Sammara *
Dr. Buthainh Sulayman**
Ghaias Babo ***

(Accepted 7/9/2004)

□ ABSTRACT □

This paper deals with Alwahide's use of koranic readings when he discussed the grammatical questions in his explication of Al-mutanabi's poetry. He aimed by that، to direct a grammatical school, or rebalance it according to lingual context in the text. This reading is sevenfold unrelated to their proprietors except the un normal reading (done by Abi AI-Shamal Al-Adawi), which he communicated from ' Ibin Genni ' who wrote an explication about AlMutanabi's poetry called' Al-Fasser. '

it was mentioned by Al-Wahide as an example of simulations and concepts. And if another story in a verse of the poem, or mentioned more than grammatical concepts in a locution, Al-Wadi repaired it as he believed, with a suitable reading, which pronounce the word as he aimed to be. supporting his concepts with many suitable arguments. in other situations we found him, limited to mentioning of Coranic reading only without any valuable adding, so that makes the discussions incompletely, and in need of clarification this required returning to thinking of reading books, to correct the relates of concepts, and to understand their meaning, discussing them, and offer what serves research, and knowing the wahide 's attitude clearly....

The result obtained shows the importance of koranic reading in arguments, and the Wahide used this reading or the other as an argument to support a way or a concept, And to explain what contradicts with a rule of Arabian language as it comes from it.

***Associate Prof, Department Of Arabic, Faculty Of Arts And Humanities, Aleppo University, Aleppo, Syria.**
****Associate Prof, Department Of Arabic, Faculty Of Arts And Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**
*****M.A Student, Department Of Arabic, Faculty Of Arts And Humanities, Aleppo University, Aleppo, Syria.**

المقدمة وأهمية البحث:

تُعدُّ القراءات القرآنية من البحوث ذات الدلالة الهامة في مجال الدرس اللغوي ، لما لها من ارتباط وثيق بالمدارس اللغوية ، والمذاهب النحوية وبتوضيح الكثير من الظواهر اللغوية ذات الارتباط الوثيق بلغات العرب ؛ وهذه القضية تحتاج إلى بحث مستقل جدير بالعناية والاهتمام.

ولهذا .. فإن القراءات القرآنية ممّا يُحتجُّ به ، فيلجأ إليها عالم اللغة ، أو الباحث ، من أجل توضيح غامضٍ ، أو الكشف عن مشكل ، في موضع ما ، في السياق اللغوي ، وبخاصة عند تباين آراء العلماء ، واختلاف مذاهبهم وأقوالهم. والقراءات قد تكون الحكم الفصل طوراً بين المدارس اللغوية، وطوراً آخر بين المذاهب النحوية. والأهم من هذا وذاك أنها تُفسِّرُ كثيراً من ظواهر اللغة، التي تخالف القواعد الموضوعة ، والرتبة المحفوظة ، والتي بحق . ترجع إلى لغة من لغات العرب .. ومن المعروف أن للعربية غير لغةٍ، وإن كان هناك لغةٌ واحدة، خيرُ ما يُقالُ فيها: إنَّها فصيحةٌ ، صحيحةٌ ، متينةٌ الأسس والقواعد ، وقد اجتمع عندها كل العرب ...

وعليه ... فالقراءات القرآنية قد يُؤتي بإحدها لتدعيم مذهبٍ، أو لتأسيس قاعدةٍ نحوية، أو لدفع رأيٍ قد يُرى أنَّه غريب، أو لتوضيح ما خالف قاعدةً موضوعةً بأنه جاء على لغة من لغات العربية ..

إن كل هذا يمكن أن يُفسِّر لجوء الواحدي[1] إلى القراءات القرآنية، والاحتجاج بهذه القراءة أو تلك، في كثير من المواضع التي وقف عندها في أثناء تناوله الظواهر اللغوية النحوية، في شرحه على ديوان المتنبي.

فالقرآن الكريم هو الأصل الأول من أصول النحو، الذي استند إليه النحاة في تقعيد العربية ؛ لأنه أوثقها وأصحُّها ، وأفصحها ، فلذلك كان أولَّ مصادرهم في الاحتجاج: " فعلى نَهْجِ آيهِ قاسوا قواعدهم ، وأحكموها وبهدي بيانه المُعْجِرِ قوَّموا لغات القبائل ، وصنفَّوها ، واشتغالهم بعلوم اللغة . أصلاً . لخدمة نصوصه "[2].

إن الباحثين في نطاق العربية وعلومها يَرَوْنَ أن القرآن الكريم، وقراءاته شيئان مختلفان، لأن القرآن الكريم شيءٌ، وقراءاته شيء آخر ، وفي هذا يقول الزركشي: " القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزّل على محمد (ص) للبيان والإعجاز ، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف ، أو كيفيتها ، من تخفيف ، وتثقيل ، وغيرهما " [3].

"والقراءة القرآنية هي سماعٌ مَحْضٌ لا مجال للاجتهاد فيها[4] " وهي التي دعت إلى ظهور علم الأصوات فالمقرئ كان مضطراً إلى إخراج الحروف مُخرجاً فصيحاً ، وكان مضطَّراً أيضاً إلى معرفة المد وقوانينه وإلى إحكام الهمز ، ومعرفة لهجات العرب فيه ، ولهذا فإنَّه من الطبيعي أن يكون القرآن سبب ظهور علم النحو ؛ فقراءة القرآن تعتمد اعتماداً بارزاً على تغيّر أواخر الكلمات أي: الإعراب[5] "

وقد اختلف النحويون في قبول القراءة ، أوردها ، ممّا ألجأهُم إلى وضع ضوابط للقراءة الصحيحة ، وهي:

1- أن توافق أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

2- أن يصحّ سندها.

3- أن توافق العربية، ولو بوجهٍ.

فتلك هي شروط القراءة الصحيحة، ومتى اختلَّ شرط من هذه الشروط الثلاثة، وُصِفَتْ القراءة بأنها ضعيفة أو شاذّة .[6] "

عرض البحث:

احتجَّ الواحدي حين وقوفه عند المسائل النحوية في أثناء شرحه ديوان المتنبي بالقراءات القرآنية السبعيَّة دون تسمية القرَّاء ، وأول ما اعتمده من مصادر في ذلك كتاب:(الحجَّة في علل القراءات السبع) لأبي علي الفارسي ، و(معاني القرآن للزجاج) ، وقد صرح بذلك قائلا: " وأمَّا القرآن وقراءات أهل الأمصار ، واختيارات الأئمة ، فإني اختلفت إلى ... ، وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران، وروى لنا كُتُبَ أبي علي الفَسَويِّ عنه، وقرآتُ عليه بلفظي كتاب الزجّاج بحقِّ روايته عن ابن مِقْسَمٍ عنه ، وسمع بقراءتي الخلق الكثير [7]"

وقال أيضا: " وذكرتُ وجوه القراءات السبع التي اجتمع عليها أهل الأمصار، ودون تسمية القُرَّاء، واعتمدت في أكثرها، على كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي "[8].

وقد وجدنا الواحدي يستشهد ببعض القراءات السبعية دونما تسمية القُرَّاء، ولعل ذلك راجع إلى كونه شرحاً للشعر، وليس تفسيراً لكتاب الله تعالى.

وكان احتجاجه بالقراءات راجعاً إلى تثبيت حكم قاعدةٍ نحويةٍ، أو الاستدلال بها على تخريج بيتٍ، وذلك على سبيل التمثيل والتنظير ومنه وقوفه عند قول المتنبي:

أَطَعْنَاكَ طَوْعَ الدَّهْرِ يا ابْنَ ابْنِ يُوسُفٍ بِشْهَوتِنَا والحَاسِدُ ولَكَ بِالرَّغْمِ

فقد ذكر الواحدي أن المتنبي أراد: (الحاسدون) فحذف النون ، لأنه شبّهه بالفعل ، كأنه قال: (والذين حسدوك) ، ومنه قول عَبِيْد[9]:

وَلَقَدْ يَغْنَى بِهِ جِيْرَانُكَ الـ مُمْسِكُو مِنْكَ بِأَسْبَابِ الوِصَالِ

أراد: (الممسكون) ، وأنشد جميع النحويين [10]:

الْحَافِظُو عورةَ العشيرةِ لا يَأتِيهم مِنْ ورائِهم وَكْفُ

أراد: (الحافظون) ، ولذلك نصب (العورةَ) ، وقرأ بعض القُرَّاء: (والمُقِيمي الصلاةَ) بالنصب ، ومن روى (الحاسدوك) فهو كرواية من روى فيما أنشده النحويون:

الحافِظو عورةِ العشيرةِ .....

وكقراءة العامة: (والمقيمي الصلاةِ)[11] لأن النون إذا حُذِفَتَ للإضافة ، فالوجه أن يُخفض المضاف إليه ويجوز إدخال الألف واللام في اسم الفاعل مع الإضافة خاصة كقول عنترة [12]:

الشَّاتِمَيْ عِرْضِي وَلَمْ أَشْتُمْهُمَا ....." [13]

فعلى الرواية الأولى . وهذا رأي الواحدي في أحد قوليه . " أنه لم يحذف النون للإضافة ، ولا ليعاقب الاسم النون لكنها حُذفت كحذفها من (اللَّذْينِ والذيْنَ) لطول الاسم بالصلة. وهو كقراءة ابن أبي إسحاق ، والحسن ورُوِيَت عن أبي عمرو: (والمقيمي الصلاةَ " [14] ؛ وهذا ظاهر قول الواحدي الآخر ، وعلى رواية (الحاسدوك) فحذف النون للإضافة ؛ وليس كالأول ، فقد بَيَّن سيبويه " أن مثل هذا وجهه الجر ، لأنك إذا كففت النون من هذه الأسماء

في المظهر كان الوجه الجر ، ولا يجوز أن تكون الكاف في موضع النصب ، لأنك لو كففت النون في الاظهار كقولك: (ضاربو زيدٍ) لم يكن إلا جرًّا ؛ ولا يجوز في الاظهار (هم ضاربو زيداً) لأنها ليست في معنى (الذَّي)، وليس فيها الألف واللام ، كما كانت في (الذي)[15].

و" أوضح الفراء أنها في قراءة عبد الله: (والمقيمين الصلاةَ)، ولو نصبت (الصلاة) ، وحذفت النون كان صواباً، وذكر القرطبي وأبو حيَّان أن قراءة (والمقيمي الصلاةِ) بالخفض هي قراءة الجمهور ؛ فالإضافة حقيقية ، وحذف النون للإضافة "[16]. وليس كالأوَّل، وعلى هذا يلزم حذف النون من (الحاسدوك) للإضافة. وعلى هذا . مع إشارة الواحدي إلى رواية (الحاسدوك) . يلزم كون عجز البيت:

... . بشَهْوتَنِا والحاسدُوك على الرَّغْمِ

وعليه لا شاهد.

وروى المعري والعكبري (والحاسدُولكَ) ، وذكر المعّري رواية أخرى ، وهي: (الحاسدونَ عَلى الرَّغم)[17]

وممّا يُذكر للواحدي في هذا السياق محتجاً بإحدى القراءات وقوفه عند قول المتنبي:

يَـــاْ افْخَـــرْ ، فَـــإِنَّ النَّـــاسَ فِيْـــكَ ثَلاَثَـــةٌ مُسْـــــــتَعْظِمٌ أَوْ حَاسِـــــــدٌ أَوْ جَاهِـــــــلُ

أراد: (يَا هذا افْخَرْ !) فحذف المنادى ، كقراءة من قرأ: (أَلاَ يَا اسْجُدُوا) [18] على معنى (يا هؤلاء اسجدوا) [19] ، و" جَوَّز المعري والعكبري في (يا افخر) رأيين: أن تكون تنبيهاً بمنزلة (ألا) ، أو أن تبقى(يا) على بابها وكون المنادى محذوفاً " [20]

وقرأ ابن عباس ، وأبو جعفر ، والزهري ، والسلمي ، والحسن ، وحميد ، والكسائي ، بتخفيف (أَلاْ يَسْجدوا) ، وخُرِّجت على أن تكون (أَلاْ) حرف استفتاح و(يا) حرف نداء ، والمنادى محذوفا ، (واسجدوا) فعل أمر مبني على هذه القراءة ، وسقطت ألف (يا) التي للنداء ، وألف الوصل في (اسجدوا) إذ رسم المصحف (يسجدوا) بغير ألفين ، لما سقطا لفظاً سقطا خطّاً. وقرأ باقي السبعة بتشديد (أَلاَّ) على أن تكون (أَنْ + لا) و(يسجدوا) مضارع معرب منصوب ". [21]

أمَّا النحويون فقد اختلفوا في هذه القراءة ؛ فذهب أبو عبيدة ، والأخفش ، وابن جني ، وأبو حيّان إلى أن(يا) حرف تنبيه ، أكَّدَ به(ألا) التي للتنبيه ، وجاز ذلك لاختلاف الحرفين ، ولقصد المبالغة في التوكيد ، وذهب الفراء ، ومكي ، ووافقهم الواحدي إلى أنها حرف نداء ، والمنادى محذوف وجوَّز ابن يعيش الرأيين .[22]

ومن وقوف الواحدي ، محتجّاً بإحدى القراءات آخذاً بمذهب أهل البصرة عند قول المتنبي:

حَمَتْـــهُ عَلـــى الأَعْـــدَاءِ مِـــنْ كُـــلِّ جَانِـــبٍ سُـــيُوفُ بنِـــي طُغْـــجِ بْـــنِ جُـــفِّ الْقَمَـــاقِمِ

إذ قال: فقد ترك صرف: (طُغجَ وجُفَّ) ، وذلك يجوز عند الكوفيين والبصريين ؛ إذا سمِّي بأعجمي ثلاثي انصرف ؛ نحو: (هُوْدٍ ، ولُوْطٍ ، ونُوْحٍ) والأجود أن يكسرهما جميعا ، ويحذف التنوين لالتقاء الساكنين كما يقال: [23]

..... *وَحَاتِمِ الطَّائِيُّ وَهَّابُ المِئِي*

وهو كثير في الشعر ، والكلام ، ومنه قراءة مَنْ قرأ: (عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ) [24] بغير تنوين وهذا أحسن من ترك الصرف فيهما. " [25]

– وذهب سيبويه والنحويون إلى أن الاسم الثلاثي الأعجمي الساكن الوسط كـ (نُوحٍ ، وهُوْدٍ ، ولُوْطٍ) ، ينصرف على كل حال لخفته [26] ، وإليه ذهب الواحدي إذ صرفهما ، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين. " وأوضح العكبري أن ترك صرف(طغج ، وجف) . وهما اسمان أعجميان . جائز عند الكوفيين ، والبصريون لا يختارونه ، ويصرفون ذلك ، ونقل عن ابن جني أنه قال: والأجود أن تكسرهما ، وتحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، ثم ذكر الشاهدين القرآني الكريم ، والشعري "[27]. وعليه يكون الواحدي قد أخذ رأيه من ابن جني بلا عزوٍ.

أمّا القراءة فقد قرأ عاصم، والكسائي ،: (عُزَيرٌ ابنُ اللَّهِ) بالتنوين وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: (عزيرُ) بترك التنوين لاجتماع الساكنين [28]، وذهب الفراء إلى أن الوجه التنوين و(ابن) خبر لـ (عزير)، وربّما حُذف التنوين لالتقاء الساكنين [29]، ومن حذف التنوين من (عزيرُ) احتمل وجهين :

الأول: أن يكون (عزيرُ) خبر مبتدأ محذوف، (وابن) صفته، فيجب بذلك حذف التنوين، ويكون المبتدأ محذوفا، قدَّره أبو علي: (صاحبُنا، أو نسيبنا ، أو نبيئُا عزيرُ).

والثاني: أن لا يقدّر مبتدأ بل يكون (عزيرُ) هو المبتدأ و(ابن) خبره، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين[30]. وهو ظاهر كلام الواحدي ، وجعل أبو حيّان (ابن) خبراً على كلتا القراءتين. وذكر أنّ من زعم أن التنوين حُذف لالتقاء الساكنين أو لأنَّ (ابن) صفة لـ (عزير) حذف تنوينه، والخبر محذوف تقديره: (إلاهنُا ، أو معبودُنا) ، فقوله متمحّل. [31]

ومن وقوفه محتجّاً بإحدى القراءات الشاذّة ما ذكره في قول المتنبي:

تَجَمّـــعَ فِيـــهِ كُـــلُّ لِسْـــنٍ وَأُمَّـــةٍ فَمَـــا تُفْهِـــمُ الحُـــدَّاثَ إلاَّ التَّـــراجِمُ

أنَّ (اللِسْنَ) (اللغة) ، وعليه قراءة أبي السمَّال العَدويِّ: [32] (وما أرسلْنَا مِنْ رسولٍ إلاَّ بِلسْنِ قومه) [33]. وعن ابن جني أن قراءة أبي السمّال بـ (لِسْنِ قومه) أي: (بلغته)، (واللِّسْنُ، واللسانُ) (كالريش، والرياش) (فِعل وفِعال) بمعنى واحد ، هذا إذا أردت باللسان اللغة ، والكلام ، فإن أردت به العضو ، فلا يقال فيه: (لِسْنٌ) إنما ذلك في القول لا العضو ، وكأن الأصل فيها للعضو ، ثم سموا القول لسانا ، لأنه باللسان، كما يسمى الشيء باسم الشيء لملابسته إياه [34] ، وذهب العكبري إلى أن القراءة المشهورة في الآية الكريمة (بِلِسْنِ) أي بلغته [35] ، ووجه الشذوذ في قراءة أبي السمال [36] أنه ليس من القراء السبعة .

وقراءته غير مسندة، فقد قال عنه ابن عطيته: ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة، وبها يُصّلى لأنها ثبتت بالاجماع ، وأمّا شاذ القراءات فلا يُصلَّى به ، لأنه لم يجمع الناس عليه ، أما المروي منه عن الصحابة رضي الله عنهم، وعن علماء التابعين فلا يعتقد فيه إلا أنهم رووه، وأمَّا ما يؤثر عن أبي السمّال ومن قارنه فإنه لا يوثق به. [37]

ومن وقوفه مُحتجاً بإحدى القراءات، مفسرّاً ذلك بالضرورة الشعرية، أو بأنه لغة لبعض العرب، ما ذكره عن قول المتنبي:

تَعَفَّـــرَتْ بـــهِ فـــي الأَقْـــوَاهِ أَلْسُـــنُهَا والْبَـــرْدُ فـــي الطُّـــرُقِ والأَقْـــلامُ فـــي الكُتُـــبِ

إذ قال: لم يُلْحقِ المتنبي في (بهِ)الياء بالهاء، واكتفى بالكسرة ضرورة ، وقد جاء عن العرب ما هو أشد من هذا كقوله: [38]

وَأَشْـــرَبُ المـــاءَ مَـــا بِـــي نَحْـــوَهُ عَطَـــشٌ إلاَّ لأَنَّ عُيُوْنَـــــــهْ سَـــــــيْلُ وَادِيْهَـــــــا

ومنه قراءة من قرأ: (لا يُؤَدِّهْ إِلَيْكَ) [39] بسكون الهاء [40]. وما ذكر ه الواحدي في هذا الموضع ، والاستشهاد له منقول عن ابن جني في (الفَسْر) بحرفيته. الذي فصَّل فيه تفصيلاً مطوّلاً ، محتجاً له بشواهد من كتاب سيبويه ، إضافة إلى قراءة قوله تعالى: (لا يُؤَدِّهْ إليكَ) بسكون الهاء [41]. وأما سيبويه فيرى أن حذف الإشباع، وتسكين الهاء ضرورة [42]، وعن الكسائي أنها لغة لبني كلاب، وبني عقيل [43].

وعقد ابن جني في الخصائص بابا أطلق عليه: (في الفصيح الذي يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً) ورأى أن إثبات الواو في نحو: (أخيلهو ونحوهو) وتسكين الهاء في (لَهْ) لغتان، وذكر أن أبا الحسن زعم أنها لغة لأزْدِ السَّراة. أمَّا اختلاس الحركة في نحو: (لَهُ) فليس بلغة بل ضرورة، وصنعة، لضعفه في القياس، ووجه ضعفه أنه ليس على مذهب الوصل، ولا مذهب الوقف؛ أما الوصل فيوجب إثبات وواه كـ (لقيتهو أمس)؛ وأمّا الوقف فيوجب الاسكان كـ (لقيتهْ، وكلّمتهْ)؛ فيجب أن يكون ذلك ضرورةً للوزن لا لغة [44]. ووافق ابن جني فيما ذهب إليه الواحدي ، إذ ذكر أن الاختلاس في (به) ضرورة ، ولو كانت لغة لقال: (بهي).

وعن أبي حيان أن الجمهور قرأ: (يُؤَدِّهِ) بكسر الهاء، ووصلها بياء، وقرأ قالون باختلاس الحركة. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر ، وحمزة ، والأعمش ، بالسكون. وهي قراءة متواترة في السبعة، ومنقولة عن إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء ، ووصفه بأنه عربي صريح ، وسامع لغة ، وإمام في النحو ، وذكر أن الزهري قرأ بضم الهاء ووصلها بواو ، وأن سلاماً قرأ بضمها دون وصلها .[45]

ومن وقوفه محتجا بإحدى القراءات ، اعتمادا في العطف على المعنى ما ذكره في قول المتنبي:

نَـــــاثِرُهُ نَـــــاثِرُ السُّـــــيوفِ دمَـــــاً وَكُـــــــــلَّ قَـــــــــوْلٍ يَقُوْلُـــــــــهُ حِكمـــــــــاً

إذ قال: إنه جعل (الدم) في موضع الحال ، كأنه قال: (مُتلطخِةً بالدم) ، وعن ابن جني [46] أن من نصب (كُلَّ) فقد نصبه لأنه عطفه على المعنى ، كما تقول: (هذا ضاربُ زيدٍ وعمراً) ، ومنه قوله تعالى: (وَجَاعِلُ اللَّيلِ سَكَنَاً والشمسَ) [47] ، على معنى (وجعل الشمسَ) [48].

أمَّا بعض شرَّاح الديوان فقد تباينت مذاهبهم في إعراب مشكل هذا البيت ، فقد جعل المعري (دماً ، وحكما) تمييزاً ، وانتصب (كُلَّ قولٍ) بفعل مضمر ، تقديره: (وينثرُ كُلَّ قَوْلٍ) ، ثم جوّز جرّه عطفاً على لفظ (السُّيوف) ثم ذكر رأي ابن جني المتقدم ذكره بلا عزوٍ [49]. وذهب الواحدي إلى أن (دماً، وحكما) حالان مؤولان بمشتق أي: (متلطخةً بالدم وكُل قولٍ يقوله منثوراً بالحكم)، وفصّل العكبري في هذه الآراء [50].

أما القراءة فقد قرأ ابن كثير، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر: (وجَاعِلُ اللَّيلِ) ، وقرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي: (وجَعَلَ الليلَ) ، وعلى هذه القراءة لا شاهد ، وأمّا قراءة النصب ، فهي قراءة الجمهور ، فعلى قراءة: (وَجَاعِلُ الليلِ) ينتصبان على إضمار فعل تقديره: (وجَعَلَ الشمسَ والقمرَ حُسْباناً). وقال الزمخشري: أو يعطفان على (الليل) ، وردَّه أبو حيَّان بأنَّ الإضافة حقيقيَّة ، واسم الفاعل المضاف إليه في معنى المضي ، وهذا لا يعمل على مذهب البصريين. [51]

و ذهب سيبويه إلى أن النصب في الفصل أقوى؛ إذا قلت: (هذا ضاربُ زيدٍ فيها وعمراً)، وكلما طال الكلام كان أقْوى ، ووافقه الميرد. [52]

و أوضح الفراء أن (الليل) في موضع نصب في المعنى، فردّ (الشمسَ والقمرَ) على معناه، لمّا فَرَّق بينهما بقوله: (سَكَنَاً) ، فإن لم تفرّق بينهما بشيءْ ، آثروا الخفض ؛[53] وعن الأخفش: أنك لو جررت (الشَّمسِ والقمرِ) على ما جررت عليه الأول كان جيداً. [54]

وقرأ أبو حيوة بجرِّ (والشَّمسِ والقمرِ) عطفاً على (الليلِ سَكَنَاً) ، وقُرِئ شاذّاً: (والشَّمسُ والقمرُ) برفعها على الابتداء ، والخبر محذوف ؛ تقديره: (مجعولان حُسْبَاناً ، أو محسوبان حُسْبَاناً). [55]

وعليه فإن الواحدي قد أخذ بعطف(كُلِّ) لروايته بالجر على (السيوف) وتقديره: وناثرُ (كُلِّ) ، وفي ذكره للقراء ، يكون قد نقل عن ابن جني احتجاجه بقراءة سبعية ، ويكون المعنى: (ونَثَّرَ كُلَّ قَّولٍ)على قراءة الجمهور.

الخاتمة:

تبين لنا مما سبق دراسته أن القراءات القرآنية خير ما يحتج به ، لجأ إليها الواحدي من أجل توضيح غامض ، أو الكشف عن مشكل ، في موضع ما ، في السياق اللغوي. وبخاصة عند تباين آراء شرّاح الديوان، واختلاف أقْوالهم حول إعراب هذا المشكل، وقد أتى بها الواحدي لتدعيم مذهبٍ، أو لتأسيس قاعدة نحوية ، أو لدفع رأي قد يُرى أنه غريب ، أو لتوضيح ما خالف قاعدة موضوعية بأنه جاء على لغة من لغات العربية وذلك على سبيل التنظير والتمثيل .. ومعظم هذه القراءات سبعية، قد صحَّ سندها ورُويت عن القُرّاء السبعة ، سوى قراءة شاذة عُزيت إلى أبي السمّال العدويّ، وفقدت شرط السند ، وعلى هذا يمكن أن يفسر لجوء الواحدي إلى القراءات القرآنية ، والاحتجاج بهذه القراءة ، أو تلك ، في كثير من المواضع التي وقف عندها ، في أثناء تناوله الظواهر النحوية في شرحه على ديوان المتنبي.

الإحالات:

(1) هو أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي ، كان فقيها وشاعراً وإماماً في النحو واللغة وغيرهما ، أستاذ عصره في التفسير ، من تصانيفه: (البسيط والوسيط والوجيز) في القرآن الكريم ، (وشرح ديوان المتنبي) ، توفي في جمادى الآخرة ، سنة ثمان وستين وأربعمائة ، ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: 145/2 ، سير أعلام النبلاء: 339/18–343.

(2) ينظر: أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج: 58.

(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 318/1.

(4) ينظر: في أصول النحو: 42–43.

(5) ينظر: المفصّل في تاريخ النحو العربي قبل سيبويه ، 17/1–18.

(6) ينظر: في أصول النحو: 29–30.

(7) ينظر: معجم الأدباء: مج 6/ جـ 12 ، ص266–267.

(8) ينظر: أسباب نزول القرآن: 16.

(9) عَبيد بن الأبرص ، ورواية الديوان: (أصحابُك) بدل (جيرانُك) ، ديوانه: 58.

(10) ويروى في الكتاب عجزه: (يأتيهم مِنْ وَرَائِنَا نَطَفُ). ينظر: الكتاب: 186/1 .

(11) الحج: 35.

(12) صدر بيت من معلقته وعجزه: (والنَّاذرَيْنِ إِذَا لَمْ أَلْقَهُما دَمِي) ، ديوانه: 222،

(13) ينظر: شرح الواحدي: 438/1–439.

(14): الحج: 35 ، وينظر: الكتاب: 186/1 ،و معاني القرآن للأخفش: 255/1–257 .

(15) ينظر: الكتاب: 187/1.

(16) ينظر: معاني القرآن للفراء ؛ 225/2–226.

(17) ينظر: معجز أحمد: 292/1.

(18) النمل: 25.

(19) ينظر: شرح الواحدي: 795/2.

(20) ينظر: معجز أحمد: 283/2.

(21) ينظر: معاني القرآن للفراء: 290/2.

(22) ينظر: معاني القرآن للفراء: 290/2.

(23) رجز نسبه ابن منظور إلى امرأة من بني عقيل تفخر بأخوالها من اليمن ، وما قبله :(حَيْدَةُ خَالِي وَلَقِيطٌ وَعَلِيٌّ) ، ينظر: الضرائر للقيرواني 166 ، اللسان: مأي.

(24) التوبة: 30،

(25) ينظر: شرح الواحدي: 912/2–913 ، والقمقامُ: السيّد.

(26) ينظر الكتاب: 235/3 ، شرح المفصل: 70/1–71.

(27) ينظر: التبيان في شرح الديوان: 115/4

(28) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 116/8.

(29) ينظر: معاني القرآن للفراء: 431/1–432.

(30) ينظر: مشكل إعراب القرآن لمكي: 360/1.

(31) ينظر: البحر المحيط: 31/5.

(32) ينظر: شرح الواحدي: 1506/3 ، وأبو السمّال هو قعنب بن أبي قعنب ، أبو السمّال بفتح السين وتشديد الميم وباللام ، العدوي ، البصري ، له اختيار في القراءة شاذٌ عن العامة ، ينظر: غاية النهاية في طبقات القرآء: 27/2.

(33) إبراهيم: 4.

(34) ينظر: المحتسب: 359/1.

(35) ينظر: التبيان في شرح الديوان: 385/3.

(36) ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء: 27/2.

(37) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 47/1.

(38) لم أهتدِ إلى قائله ، ينظر: الخصائص: 128/1 ، 371 ، 18/2 ،و المحتسب: 1/ 244.

(39): آل عمران: 75.

(40) ينظر شرح الواحدي: 1644/3–1645 ، والبُرْدُ: جمع بريد.

(41) ينظر: الفَسْر: 209/1–210.

(42) ينظر الكتاب: 30،4/1 / 189، 195.

(43) ينظر: الارتشاف: 467/1.

(44) ينظر: الخصائص: 370/1–371.

(45) ينظر: البحر المحيط: 499/2.

(46) ينظر التبيان في شرح الديوان: 164/4.

(47): الأنغام: 96

(48) ينظر: شرح الواحدي: 2064/4.

(49) ينظر معجز أحمد: 374/4

(50) ينظر: التبيان في شرح الديوان: 164/4.

(51) ينظر: مشكل إعراب القرآن لمكي: 279/1–280.

(52) ينظر: الكتاب: 174/1، 356.

(53) ينظر: معاني القرآن للفراء: 346/1.

(54) ينظر: معاني القرآن للأخفش: 255/1.

(55) ينظر: البحر المحيط: 186/4–187.

المراجع :

.....

القرآن الكريم

1- أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصرالاحتجاج ، د. مسعود بوبو منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق: 1982.

2- أسباب نزول القرآن ، لأبي الحسن الواحدي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتاب الجديد ، ط1 ، 1389-1969.

3- البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية ، ط1 ، 1376-1957.

4- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط1 ، 1384-1957.

5- تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط2 ، 1403 . 1983.

6- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، تصحيح أحمد عبد العليم البردوني ، ط2 ، 1372-1952

7- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني: حققه: محمد علي النجار دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان ، ط2.

8- ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح أبي البقاء العكبري ، المشمى بالبيان في شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة . بيروت . لبنان.

9- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي الفتح عثمان بني جني ، المسمى بالفَسْر ، عني بتحققه والتعليق عليه د. صفاء خلوصي ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ط1 ، 1988. ج1+2.

10- ديوان عَبِيد بن الأبرص ، تحقيق: تشالز ليال ، طبع مطبعة بريل . ليدن ، 1913.

11- ديوان عنترة ، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي ، المكتب الاسلامي . بيروت . دمشق ، ط2 ، 1403-1983.

12- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق وتعليق د. مصطفى أحمد النماس ، ط1 ، 1404 -1984 .

13- سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، حققه شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1405-1984.

14- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، لأبي العلاء المعري ، (معجز أحمد) تحقيق ودراسة ، د. عبد المجيد دياب ، دار المعارف بمصر . القاهرة . ط2 . 1413-1992.

15- شرح المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة.

16- شرح الواحدي لديوان المتنبي ، ضبط وشرح وتقديم وتعليق د. ياسين الأيوبي ، د. قصي الحسين ، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1999.
17- غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري ، عني بنشره برجستراسر ، مكتبة الخانجي مصر ، 1351-1932.
18- في أصول النحو ، سعيد الأفغاني ، مطبعة جامعة دمشق ، ط3 ، 1383-1964.
19- كتاب سيبويه ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، ط6 ، 1385-1966.
20- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف ، د. عبد الحليم النجار ، د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، القاهرة . 1415-1992.
21- مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق: ياسين محمد السواسّ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1394-1974.
22- معاني القرآن للأخفش ، دراسة وتحقيق ، د. عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، ط1 ، 1405-1985.
23- معاني القرآن للفراء ، عالم الكتب . بيروت ، ط2-1980.
24- معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، راجعته دائرة المعارف العمومية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان . الطبعة الأخيرة ، المجلد السادس ، الجزء الثاني عشر.
25- المفصل في تاريخ النحو العربي الجزء الأول قبل سيبويه ، د. محمد خير حلواني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1399-1979.